حمار الشعرا - الجزء الثاني

شعر: عبد الهادي حميتو

يـا شـيخُ يحـيي لـو أعـدتَ النَّظَـرا ... رأيـــت في الرَّجَـــز مثلَمـــا أَرى
فالشِّـــبْهُ نحـــوَ شِـــبهه مُنجَـــذِبٌ ... فـلا تَقُـل لي: قـد ظلمـت الحُمُـرا
ولا تقُـــلْ في رجَـــز إلاَّ كمـــا ... تقـول في العَـيْر إذا العَـيْرُ جـرى
كلاهُمـا مُسـتهجَنٌ لسـت تَـرى ... مِـن جِنسـه إلا ثقـيلًا مُـزْدَرى
ثـم أَجِـدْ سـمعاً فقابلـه بمـا ... مـن الفضـائل له قـد ذُكـرا
وَهـا أنـا أُشـنِّفُ السـمعَ، فخـذ ... عـنيَ مـا في كل سَـمعٍ وَقَـرا
ممَّـا بـه قـد نطقَـتْ بنصـه ... آيُ الكتـاب، ولهـا الـكُلُّ قَـرا
ومـا بـه السُّـنة قـد تـواترت ... والسـيرةُ الغـراءُ، فاتْـلُ السِّـيرا
ومـا بـه العـرب في أمثالهـا ... قـد نوَّهـت، وقـال فيـه الشُّـعرا
ولسـتُ في كل حمـار راغبـا ... سَـمَّوْه عَـيْرا أو حمـاراً أَوْ فَـرَا
لكنـني يـا شـيخ يحـيي أبـتغي ... رضـاك، لـيس لأزِيـدَ في المِـرا
وإنمـا لـكي أَكـون مُنصِـفا ... إذا بسـطتُ القـول فيـه مُعْـذِرا
وجِئـتُ في أمْـر الحمـير كلِّهـم ... بمـا لَهَـم ومـا علَـيهم مُخْـبِرا
أمـا الذي لهـم فمِـن خِلافِـه ... تعرفـه إنْ تَـكُ بَعـدُ مُنكِـرا
شَأنُ الحمـارِ الحَمـلُ والركـوب والـ ... ـحَرث، وجـرُّ العربـات في القـرى
كالدَّوْرِ بـالرَّحَى ودرْسٍ للـزرو ... ع والبُـذورِ وأمـورٍ أُخَـرا
والخيـلَ والبغـالَ والحمـيرَ مِمْـ ... ـا ربُّنـا لمثـل ذاك سَـخَّرا
لتَركَبُوهـا، ثـم قـال: زينـةً ... للنـاظرين حليـةً ومَنظَـرا
لكنمـا الحمـيرُ أَدنَى رُتْبـةً ... لذاك جـاء ذكْرهـا مـؤَخَّرا
ولا تـرى في النـاس مَـن يَختارهـا ... إن كان قـد خَـيَّره مَـن خَـيَّرا
فالمشـيُ رَاجِـلا بـلا مَطِيَّـةٍ ... ولا رُكـوبٌ في السِّـفار الحُمُـرا

إن الحمـــار شرُّ ظَهْـــرٍ يُمتطَـــى ... وشرُّ مركـوب لِـمن يَـبغي السُّـــرى
يمشـــي مُراوحـــاً مكانَـــه فـــإن ... أبصـــرتَه تخـــالُه يمشـــي ورا
ولـــو مـــع الجيـــاد ســـار ســـاعةً ... لقـــال: هـــاتوا لي سِـــماطاً أخضـــرا
فنـــافسَ الجيـــادَ في مِضـــمارها ... لكنـــه سُرعان مـــا تـــدهورا
وإن تـــرِد منـــه المزيـــد زاجـــراً ... صـــار الذي أنكـــرت منـــه أكـــثرا
وإن تـــزِدْ في حَفـــزِه بـــوَخْزه ... ظنَّـــك تســـتوقِفُه فقَصَّـــرا
وإن حملتـــــه على تقـــــدُّمٍ ... خالَـــك تســـتأخِرُه فاســـتَأْخرا
يمشـــي الهُـــوَيْنَى ويـــراهُ سُـــنةً ... فهْـــو إذا ســـار تقَـــفَّى الأثَـــرا
وللعِثـــار نسَـــقٌ في سَـــيْره ... لـــيس يبـــالي حُفَـــراً أو حَجَـــرا
وكـــم عِثـــار مـــا له مـــن باعـــث ... وإنمـــا بـــدا له فعَـــثرا
وانظـــر إلى الأمثـــال في مَضـــرِبها ... بـــه، وكـــم مـــن مَثـــل بـــه جَـــرى
حسبك في الـوحيين كـم جـاء بـه ... مـــن آيـــة، وكـــم حَـــديث سُـــطرا
وانظـــر إليـــه فَـــرَّ مِـــن قسْـــورة ... وقـــد تـــوَلَّى مُـــدبِراً مُســـتَنفِرا
كمـــا بـــه قـــد ضُرب المثـــلُ في ... إعراضِـــه عمَّـــا بـــه قـــد ذُكِّـــرا
لـــو كان فيـــه للقبـــول موضـــعٌ ... مـــا جـــاء في القـــرآن: إنَّ أنكـــرا
ألـــيسَ يقطـــع الصـــلاة ناهقـــا ... ويســـتعاذ عنـــده إذا انـــبَرى

يـــا شـــيخُ يحـــيي هـــذه قضـــيتي ... مـــعَ الحمـــار مَـــوْرِداً ومَصـــدَرا
قـــرأت في آدابنـــا مِـــن ذَمِّـــه ... بـــدائعاً مِـــن حقهـــا أن تُشـــهَرا
فكم هجـاهُ مَـن هَجـا مـن شـاعر ... وكـــم حكـــيمٍ عـــن حِمـــاه نَفَـــرا
فقيـــل في راكبـــه: «ســـوف تـــرى ... إذا انجـلى الغبـار» مـا سـوف تـرى
إنِ الحِـــوارُ والحِمـــارُ اطططَبـــا ... في الســير ألفيـت الحـوارَ اسـتحمَرا
وصـــار مـــن بعـــد الـــرُّغاءِ شَـــاهِقاً ... وناهِقـــا، سُرعان مـــا تـــأثرا
ولـــك في حمـــار «تومـــا» مَثـــلٌ ... إذ قـــال عـــن راكِبـــه مـــا أُثِـــرا

مقالــةً عنــه حكاهــا مَــن حــكى ... على لســـــان حـــــاله معَـــــبِّرا
«لـو أنصـفوني» قـال «مـا كنـت أنـا ... أحـــقَّ أن أركَـــب» إذ أنـــا بَـــرا
«لأن جهـــــليَ بســـــيطٌ، والذي ... يَـــركبُني بالجهـــل قـــد تَـــدَثَّرا
إنَّ الحمـــارَ مُعْـــرِقٌ في جنســـه ... كان أصـــيلَ العِـــرق أو تحمَّـــرا
لا يقبـــل المجـــاز في تشـــبيهِه ... وهَبْـه قيـل: العَـيْرُ، أو قيـل الفَـرا
وهْـــو حمـــار كيفمـــا قلَّبتَـــه ... ولـــو تتـــوَّج بِتـــاج قيْصَـــرا
أرى الخليـــل في العَـــروضِ عَـــدَّه ... ولـــم يُـــراعِ ضـــعفَه والخَـــوَرا
مســـتفعلنْ مســـتفعلنْ مســـتفعلنْ ... ركـــضُ الحمـــار وزنُـــه إذا جَـــرى
فمَـــن تُـــراهُ عاجـــزاً عـــن نظمـــه ... ولـو أرادَ الأَلْـف منهـا استيسَـرا
فـإن يكـن مسـتفعلن مسـتفعِلن ... شـعراً، فـكل النـاسِ صـاروا شُـعرا
لِذاك قـــد ركِبَـــه النُّظَّـــامُ في ... أنظـــامهم ولـــم يطيلـــوا الفِكَـــرا
فكـــثُرت حمـــيرُهم، وزاحمـــت ... أهـــلَ القـــريض والقصـــيدِ بـــالهُرا
لا تـــأمَنِ الحمـــيرَ في ركوبهـــا ... ولا تقـــل فيهـــا: رَكـــوبُ الفُقـــرا
فكـــم فقـــير قصَـــمت فَقـــارَه ... فمـــا تـــولَّى اليـــومُ حـــتى أُقْـــبِرا
وسَـــقطةٍ عـــن الجـــواد ســـلِمت ... وســـقطةُ الحمـــار دَقَّـــت القَـــرا
فـــلا تقـــل لي في حِمـــارٍ فـــارِهٍ ... فكلهـــا مهمـــا تَفَـــرَّهَ فَـــرا
لـــو لـــبِس الحمـــارُ ثَـــوْبَ حَـــبْرةٍ ... كان حمـــاراً قـــد تـــردَّى الحِـــبَرا
أو قـــد جَـــرى مـــع الجِيـــاد غُلْـــوةً ... قيـــل: حمـــارٌ في الســـباق غـــبَّرا
جـــاء أخـــيراً وهْـــو يشـــكو حَظَّـــه ... يـــرى لســـوءِ حظـــه تـــأخرا
وأن مـــن يُعلِفُـــه مُقَصِّـــرٌ ... في حقِّـــه فهْـــو لذاكَ قَصَّـــرا
فالشـــؤمُ في ثلاثـــة إن كان فهْـــ ... ـــو واحـــدٌ فيمـــا نَعُـــدُّه يُـــرى
لا تركَـــب الحمـــار يومـــاً إنـــه ... بـــئس المَطيَّـــةُ لمـــن له عَـــرا
ولا تثِـــقْ إذا بَـــدا مســـالماً ... فالنـار قبـل الوقـد كانـت شـجرا
ولا تقـــلْ في رجـــز: شـــعرٌ فلـــو ... كان لَمَـــا قيـــل: حمـــارُ الشـــعرا

لاَ تَـــأْمَنِ العَـــيْرَ فرُبَّمـــا هَـــوى ... براكـــبٍ فـــدَقَّ مِنـــه الْمِنْخَـــرا
لـــم يـــرْعَ فيـــه ذِمَّـــةً أو صُـــحبةً ... ولـــو غـــذَاهُ أَشْـــهُراً وأشْـــهُرا
يُعْلفُـــهُ مِـــن قُوتِـــه ويقْتَـــني ... لهُ الإِكافَ والمخـــالي الأوْفَـــرا
وكان يسْـــتَوصي بـــه في ظهْـــرِهِ ... فـــلا يُحمَّـــلُ ســـوى مـــا قَـــدَرا
ولـــيْس يُـــردِف عليـــه راكِبـــاً ... مِـن خَلْفِـه مِـن رجـلٍ أو مِـنْ مَـرا
لكنَّمـــا العَـــيْرُ لِسُـــوء طَبْعـــهِ ... لا يَعقِـــل الجميـــلَ مهْمـــا كـــثُرا
ولا يُبـــالي صَرْعـــةً أو رَفْســـةً ... تغْـــدو بهـــا على الـــثَّرا مُعَـــثَّرا
ورُبَّمـــا زاد فِـــراراً بعـــدما ... فَعَلهـــا وطـــاش عنـــك مَنْظَـــرا
ثُـــمَّ رمى إكافَـــه وخُرْجَـــهُ ... ومـــا حملْـــتَ فيـــه في عُـــرْض الـــثَّرا
إِنَّ الحمـــارَ لَأَمـــيرُ نفسِـــهِ ... ولـــو تأدَّبْـــتَ له مـــا شَـــعَرا
ولـــو تخـــيَّرتَ له بَرْدَعـــةً ... مِـــنْ نَسْـــج صـــنعاءَ وَوَشْيِ عَبْقَـــرا
ولـــم يـــزلْ في جِنْســـه مُمْتهَنـــاً ... كمـــا أراهُ فِي حمـــار الشُّـــعرا
ولـــيْس هجْـــوي للحمـــار غايـــتي ... كان حمـــارَ الشِّـــعر أَو كان فَـــرا
وإنَّمـــا جعلتُـــه وســـيلةً ... أُملِّـــحُ الجِـــدَّ بهـــا إذا عَـــرا
فـــفي زمـــان الجِـــدِّ تحْلـــو ســـاعةٌ ... للهـــزْلِ يمْـــرَحُ بهـــا مَـــن سَـــمَرا
فـــنَمَطُ القـــوْلِ على وتـــيرةٍ ... يمَـــلُّ منـــه مَـــن بـــدا أو حَضَـــرا
فخُـــذْ إِليْـــك هـــذه تكْمِلـــةً ... في رجَـــزٍ طلَّقْـــتُ فيـــه الأبْحُـــرا
جَـــبْراً لِخـــاطِر أديـــبٍ بـــارِعٍ ... أحَبَّـــهُ فقلـــتُ فيـــه مـــا تـــرى
ثُـــمَّ أنـــا أســـتغفرُ الله لِمـــا ... مـــنِّيَ مِـــن هـــزْلٍ بـــريءٍ صَـــدَرا
وقائـــلٌ خِتـــامَ مـــا دبَّجْتُـــهُ ... صـــلَّى وســـلَّم عَلى خـــير الـــورى
محمَّـــــدٍ وآله وصـــــحْبِهِ ... ثُـــمَّ علـــيْكُم معْشَـــراً فمَعْشَـــرا